

**الفرقان**  
**في تفسير القرآن**  
**بالقرآن والسنة**



# الفرقان

في تفسير القرآن

بالقرآن والسنة

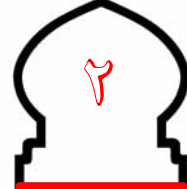
الجزء الثالث

تتمة سورة البقرة

سماحة الشيخ

الدكتور محمد الصادقي





تتمة

سُورَةُ الْبَقَرَةِ



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَيِّجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفْتَنُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقْتَلُوا فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ أَنَّهُوَا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنَّهُوَا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ :

نص جلي صارم في الجانب السلبي من الاقتصاد الإسلامي، كضابطة

عامة في التصرفات المحظورة في أموال الناس بينهم، تلحقاً له بمصداق كأفضله من مصاديق الأكل بالحق: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.

وكقسم خاص من الأكل بالباطل هو أموال الناس ﴿... وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾<sup>(٣)</sup> ولكن بينكم هناك تشملها والقسمين الآخرين.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾ هنا صيغة أخرى عن «لا تتصرفوا» عبر عنها بها لأن الأكل هو الحاجة العظمى المتعمّدة الضرورية، فقد يعيش الإنسان دون ملابس أو منكب أو مسكن، وليس ليعيش دون أكل، وقد يبدل كل حاجياته إلى الأكل ولا يبدل أكله إلى سائر حاجاته، فلأنه هو المحور الأصيل في سؤال الأموال، يعبر به عن كافة التصرفات في كافة اللغات والأعراف، وقد يأتي الأكل في القرآن بمعنى التصرف الممحي ﴿حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿وَتَأْكُلُونَ الثُّرَاتِ أَكْلًا لَّمَّا﴾<sup>(٥)</sup> - ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾<sup>(٦)</sup>.

هذا! مهما اختص الأكل بنفسه فيما يختص بالمأكل ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ...﴾ أو يقرن بما لا يؤكل من محظور التصرف، ولكنه في حقل المال ككلّ يعني التصرف فيه ككل كما هنا وفي كثير أمثاله، لحدّ أصبح مجاز

(١) سورة النساء، الآية: ٢٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦١.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨٣.

(٥) سورة الفجر، الآية: ١٩.

(٦) سورة يوسف، الآية: ٤٨.



الأكل أشمل من حقيقته استعمالاً، ينصرف إلى مطلق التصرفات ما لم تخصصه بحقيقته قرينة! .

و﴿أَمْوَالِكُمْ﴾ تعم كل ما يُتمول حيث إليه يُتميل فإن المال هو من الميل، فقد تشمل «أموالكم» الحقوق المالية بجنب الأموال أنفسها، حيث المال فيها هو المال، بل وهو من المال لمكان الميل، ونفس هذا الجمع المستغرق لكلّ الأموال هي من القرائن القطعية على أن الأكل هو مطلق التصرف، حيث الأموال كلها ليست مأكولة كأكل خاص إلا الخاص منها، والنص يعم كل الأموال، فمهما كان الأكل دون قرينة الحقيقة ظاهراً في الكل، أصبح هنا نصاً فيه بصيغة الجمع المستغرق للأموال ككل.

ثم ﴿أَمْوَالِكُمْ﴾ تشمل الأموال التي تخصصنا والتي تخص الآخرين، حيث يُعتبرون كأنفسنا فإن ﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾<sup>(١)</sup> كما ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿فَأَقْضُوا أَنفُسَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup> كما وتشمل الأموال المشتركة بيننا، فمحظور الأكل بالباطل لا يختص بأموال الآخرين، و«أنفسكم» هي أحق أن تعنيه «كم» في «أموالكم» ومن ثم أموال الآخرين لأنهم كأنفسكم، ثم الأموال المشتركة لأنها لكم جميعاً وبينكم فذلك المثلث معني من أموالكم.

وأما ﴿بَيْنَكُمْ﴾ فقد تتعلق بكلا المتعلقين «لا تأكلوا... بينكم - أموالكم الكائنة بينكم» فإن طبيعة «أموالكم» في أي من الثلاثة أن تكون ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بالحق، دون اختصاص لمال بأحد مهما اختص به ملكه، فإن هناك مبادلات وإنفاقات وسائر ما يتوجب في أموالكم بينكم! .

أم و«الباطل بينكم» وذلك ثلوث الحرمة في أكل الأموال كثالوث

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥ .

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١١ .

(٣) سورة البقرة، الآية: ٥٤ .

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٩ .

الأموال، أن تأكل مالك بالباطل تصرفاً بإسراف أو تبذير أم دون إخراج لحقوق الفقراء إمّا ذا من محظور من التصرفات المسرودة في القرآن والسنة، أم كنزاً لها دونما فائدة أو إفادة شخصية ولا جماهيرية أمّاهية من تصرفات أم سواها من محظور في شرعة الله، أو أن تأكل مال غيرك دون حله ورضاه و«لا يحل لامرئ أن يأخذ مال أخيه بغير حقه وذلك لما حرم الله مال المسلم على المسلم»<sup>(١)</sup> ف «أموالكم وأعراضكم عليكم حرام»<sup>(٢)</sup> ثم المشتركة فإنه ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾<sup>(٣)</sup>.

ثم الباطل بينكم هو المعروف بطلانه كالأموال المسروقة وأضرارها، ولكن الباطل هو أعم من «الباطل بينكم» والباطل عند الله، مهما كان حقاً بينكم، أم قد يكون باطلاً بينكم حقاً عند الله كالضرائب المستقيمة وغير المستقيمة أمّاهية من حقوق مقررة في الشرعة الإلهية هي باطل بينكم أم ليس حقاً تحكمون به.

إذاً ف ﴿بَيْنَكُمْ﴾ لا تعلق لها بخصوص الباطل، اللهم إلا فيما هو باطل بينكم وعند الله فأغلظ محظوراً، فقد يُعنى فيما عني من الظرف بهذه العناية الخاصة.

ثم ﴿بَيْنَكُمْ﴾ قد تلمح أن الأموال كيفما كانت فهي ﴿بَيْنَكُمْ﴾ تحمل التداول بحق أو باطل، والمنهي عنه هنا هو التداول الباطل، فقد لا تشمل الأموال العامة التي لا تختص بأحد حتى تحمل التداول كالبحار والأنهار والغابات والمعادن، إلا أن يتجاوز الإنسان حقه فيها، ولكنه يشملها أيضاً لأنها مشتركة بينكم، وتداولها بينكم أكثر من القسمين الأولين.

ثم ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ قد تعني بسبب الباطل، وبمصاحبة الباطل، فإن كلاً

(١) الدر المنثور ١: ٢٠٣ - أخرج أحمد عن أبي حميد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال: ...

(٢) آيات الأحكام للحصاص ١: ٢٩٤ قال ﷺ: ...

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٩.